اسم الفاعل بين الإعمال والإهمال في القراءات القرآنية

د . نوفل علي مجيد الراوي (*)

توطئة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد :

فقبل أن نتكلم في موضوعنا الموسوم بـ : ((اسم الفاعل بين الإعمال والإهمال في القراءات القرآنية))، نمرُّ على موضوع اسم الفاعل مراً سريعاً لا يجاوز التعريف به؛ لأنَّ هذا الموضوع قد لقي حظوة كبيرة لدى النحويين والصرفيين، فلا يخلو كتاب نحويٌّ من التعرض له صياغة وإعمالا، فضلا عن دراسة المحدثين له، ونشير هنا إلى دراستين استقلتا بحديث خاص في هذا الموضوع، أما الأولى فجاءت بعنوان (اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية) لـ : فاضل مصطفى الساقي (1988م)، وهي في أصلها رسالة للماجستير قبل أن تطبع وتنشر كتابا، والثانية بعنوان: (اسم الفاعل في القرآن الكريم دراسة نحوية) لـ : حربية كامل مهدي، وهي رسالة للماجستير أيضا لكنها لم تنشر كسابقتها بعد، أما دراستنا في هذا البحث فتركز على القراءات القرآنية التي جاءت على صيغة (اسم الفاعل) المقروءة بالإعمال والإهمال.

(*) قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

عُرِّفَ اسم الفاعل تعريفات عدة ، لكنها تتفق على أنّهَ وصفٌ مشتقٌ من مضارع الفعل المبني للمعلوم ليدل على من فعل الفعل، أو قام به بمعنى الحدوث، ويصاغ من الفعل الثلاثي المجرد اللازم والمتعدي على وزن (فاعل)، ويصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر ما لم يكن مكسوراً من قبل(1).

وقبل البدء بالحديث في موضوع البحث نقدم ثبتا بالقراءات القرآنية المقروءة بالإعمال والإهمال، ونشير هنا إلى أنَّ هذا الثبت هو نتيجة الجرد الذي قمنا به في معجم القراءات القرآنية للدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر.

(1) ينظر : التعريفات ـ السيد الشريف الجرجاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، د.ت : 21، وشرح الكافية ـ رضي الدين الاسترآباذي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د.ت : 189/2،و شرح المفصل ـ ابن يعيش ، عالم الكتاب ـ بيروت ، د . ت : 68/6، و همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ـ السيوطي ، عني بتصحيحه : محمد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت : 95/2، واسم الفاعل في القرآن الكريم ـ دراسة نحوية ، رسالة ماجستير تقدمت بها حربية كامل مهدي إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد ، في سنة : 1408 هـ / 1988م ، بإشراف : د. خديجة عبد الرزاق الحديثي : 9-17.

ثبت القراءات القرآنية المقروءة بالإعمال والإهمال

التسلسل	السورة	الآية	اسم الفاعل المقروء بالإهمال	اسم الفاعل المقروء بالإعمال	
1	الفاتحة	4	مالكِ يومِ❁[2]	مالكٌ يومَ	
2	البقرة	145	بتابعِ قبلتِهِم	بتابعٍ قبلَتَهم❁	
3	آل عمران	9	جامعُ الناسِ❁	جامعٌ الناسَ	
4	آل عمران	18	القائمُ بالقسطِ	قائماً بالقسطِ❁	قائمٌ بالقسطِ
5	آل عمران	185	ذائقةُ الموتِ❁	ذائقةٌ الموتَ	ذائقةُ الموتَ
6	النساء	12	مضارٍّ وصيةٍ	مضارٍّ وصيَّةً❁	
7	المائدة	2	آمِّي البيتِ الحرامِ	آمين البيتَ الحرامَ❁	
8	المائدة	28	بباسطٍ يدى	بباسطٍ يَدِيَ❁	
9	الأنعام	96	وجاعلُ الليلِ	وجاعلَ الليلَ	
10	الأنفال	18	موهنُ كيدِ❁	موهنٌ كيدَ	
11	التوبة	3	غيرُ مُعْجِزِي اللهِ❁	غيرُ مُعْجِزِي اللهَ	
12	هود	29	بطاردِ الذين❁	بطاردٍ الذين	
13	الرعد	14	كباسطِ كفيه❁	كباسطٍ كفيه	
14	إبراهيم	47	مخلفَ وعدِهِ رُسُلَهُ❁	مخلفَ وعدَه رُسُلِهِ	
15	الكهف	6	باخعُ نفسِك	باخعٌ نفسَك❁	

(2) هذه العلامة تدل على أن حفصاً عن عاصم قد قرأ بهذه القراءة

16	الكهف	51	متخذَ المضلين۝		متخذاً المضلين			
17	مريم	93	إلاَّ آتي الرحمنِ۝		إلاَّ آتٍ الرحمنَ			
18	الأنبياء	35	ذائقةُ الموتِ۝		ذائقٌ الموتَ	ذائقُ الموتَ		
19	الحج	35	والمقيمي الصلاةِ۝		والمقيمين الصلاةَ	والمقيمي الصلاةَ	والمقيمَ الصلاةَ	
20	الحج	54	لهادي الذين	لهادِ الذين۝	لهادٍ الذين			
21	الشعراء	3	باخعُ نفسِك		باخعٌ نفسَك۝			
22	النمل	81	وما أنت بهادي العميِ۝		وما انت بهادٍ العميَ			
23	العنكبوت	57	ذائقةُ الموتِ۝		ذائقٌ الموتَ	ذائقُ الموتَ		
24	فاطر	1	جاعلِ الملائكةِ ۝	جاعلُ الملائكةِ	جاعلُ الملائكةَ	جاعلٌ الملائكةَ		
25	فاطر	38	عالمُ غيبِ۝		عالمٌ غيبَ			
26	يس	40	سابقُ النهارِ۝		سابقُ النهارَ			
27	الصافات	38	لذائقوا العذابِ الأليمِ۝		لذائقون العذابَ الأليمَ	لذائقو العذابَ الأليمَ	لذائقٌ العذابَ الأليمَ	
28	الزمر	36	بكافي عبدِهِ		بكافٍ عَبْدَه۝	بكافٍ عِبَادَه		
29	الزمر	38	كاشفاتُ ضُرِّهِ۝		كاشفاتٌ ضرَّهُ			
30	الزمر	39	ممسكاتُ رحمتِهِ۝		ممسكاتٌ رحمتَهُ			
31	الصف	8	مُتِمُّ نورِهِ۝		مُتِمٌّ نورَهُ			
32	الطلاق	3	بالغُ أمرِهِ۝		بالغٌ أمرَهُ	بالغٌ أمرُهُ	بالغاً أمرَهُ	بالغاً أمرُهُ

فمن القراءات القرآنية التي جاءت على صيغة (اسم الفاعل) والتي قرئت بالإعمال والإهمال قراءة (مالك يوم) من قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ ﴾[3]، فقد قريء هذا الحرف قراءات عدة لكن القراءة التي تعنينا في هذا المقام قراءة (مالكِ يومِ) بالإضافة وخفض (يوم) وهي قراءة عاصم والكسائي، وقراءة (مالكٌ) بالرفع والتنوين ونصب(يوم) وهي قراءة عون العقيلي وخلف بن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم[4].

ذهب النحويون إلى أن (اسم الفاعل) إذا كان صلة لـ: (أل) عمل مطلقا سواء أكان دالاً على المضي أم على الحال أم على الاستقبال ، وإن لم يكن صلة لـ : (أل) فإما أن يكون منوناً أو لا يكون ، فإن كان غير منون فإنه يكون غير عامل عمل الفعل، ومن ثم وجب أن يضاف إلى ما بعده، والإضافة في العربية تكون على نوعين:

1- إضافة غير حقيقية (لفظية) وهي التي لا تكسب المضاف إليه تعريفاً ولا تخصيصاً؛ أي يبقى اسم الفاعل نكرة على حاله، منها إضافة اسم الفاعل غير الدال على الزمن الماضي ، وحينئذٍ يكون نكرة سواء أضيف إلى معرفة أم إلى نكرة، والغرض منه التخفيف ويكون التنوين فيه منوياً.

2- إضافة حقيقية (معنوية) وهي التي تكسب المضاف إليه تعريفاً إن أُضيف إلى معرفة ؛ نحو: " هذا غلام زيدٍ" وتكسبه تخصيصاً إذا أضيف إلى نكرة؛ نحو: "هذا غلام امرأةٍ "، ومن هذه الإضافة إضافة اسم الفاعل الدال على الماضي،

(3) سورة الفاتحة ـ آية : 4.

(4) ينظر :معجم القراءات القرآنية ـ د.أحمد مختار عمر ، ود. عبد العال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط2،3،141هـ/1988م : 9/1 .

والإضافة هنا ليست على نية الانفصال كالإضافة اللفظية ، والتنوين فيها ليس منويا ولا مراداً[5].

بناءً على ما قرره النحويون تكون قراءة عاصم والكسائي (مالكِ يومِ) بالإضافة والخفض إضافة لفظية، ولفظ (مالك) بناءً على ذلك نكرة؛ لذلك أعربها ابن الأنباري (ت 577 هـ) [6]، والعكبري (ت 616هـ) [7] ومحب الدين محمد بن خليل البُصْرَوي (ت 889 هـ) [8] بدلا من لفظ الجلالة الله ، واعترضوا على أبي جعفر النحاس (ت 338 هـ) [9] وغيره ممن أعربها صفة [10]، قال ابن الأنباري: ((ومن قرأ "مالكِ" لم يجز فيه أن يكون مجروراً على الصفة كما ذكر النحاس بل

(5) ينظر: الإيضاح العضدي ـ أبو علي الفارسي ـ تحقيق : د. حسن شاذلي فرهود ،مطبعة دار التأليف ـ مصر، 1389هـ/1969م : 141-143،و 267- 272،و شرح ملحة الإعراب ـ القاسم بن محمد الحريري، تعليق : ياسين جاسم المحيمد ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، 1422هـ / 2001م : 84-85،و شرح ألفية ابن مالك ـ بدر الدين بن مالك ، تحقيق ـ عبد الحميد سيد محمد عبد الحميد، بيروت ، د.ت : 423- 425،و 383، وابن عقيل ، تحقيق ـ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 20، القاهرة،1400هـ/1980م : 106/3، و 66/3-67،وهمع الهوامع:2/ 95-96، و 46/2-74 .

(6) البيان في غريب إعراب القرآن،تحقيق:د.طه عبد الحميد طه،دار الكاتب العربي ـ القاهرة، 1389 هـ/ 1969م:39/1.

(7) ينظر : إملاء ما منَّ به الرحمن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1389 هـ / 1970م : 6/1.

(8) إعراب ثلاثين سورة وآية الكرسي من القرآن ـ محب الدين محمد بن خليل البُصْرَوي (ت 889 هـ) دراسة وتحقيق ، أطروحة دكتوراه تقدم بها نوفل علي مجيد الراوي إلى مجلس كلية الآداب / جامعة الموصل ، في سنة : 1427 هـ / 2006 م ، بإشراف د . عبد الوهاب محمد علي العدواني : 12.

(9) ينظر : إعراب القرآن ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ـ بغداد، 1977م، 9/1.

(10) ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ـ ابن خالويه ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، 1360هـ / 1941م : 22، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الزمخشري ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، ط2 ، 1426 هـ / 2005م : 28 ، و البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ، مطابع النصر الحديثة ـ الرياض ، د. ت : 1/ 21.

على البدل ؛ لأن (مالك) اسم فاعل من (الملك) جارٍ على الفعل، واسم الفاعل إذا كان للحال أو الاستقبال فإنه لا يكتسب التعريف من المضاف إليه، وإذا لم يكتسب التعريف كان نكرة والنكرة لا تكون صفة للمعرفة، فوجب أن يكون مجرورا على البدل، لا على الصفة)) [11].

أما من قال: إن الإضافة فيه معنوية كالزمخشري (ت 538 هـ)، مثلاً ساغ له أن يعرب (مالك) صفة للفظ الجلالة الله؛ لأن اسم الفاعل يكون قد اكتسب التعريف من الإضافة، ويتضح ذلك في قوله: ((فإن قلت: فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالك الساعة أو غداً، فأما إذا قصد معنى المضي كقولك: هو مالك عبدِهِ أمس أو زمان مستمر، كقولك: زيدٌ مالك العبيد ، كانت الإضافة حقيقية، كقولك: مولى العبيد، وهذا هو المعنى في: مالك يوم الدين)) [12]. وذهب ابن آجروم (ت 723 هـ) إلى هذا الرأي فقال: ((مالك: نعت للجلالة المعرفة، وإضافة "مالك" محضة فيتعرف بالإضافة))[13].

ولا بد من المكوث عند مقالة الزمخشري هذه، وعلى رأي من ذهب إلى أن (مالك) صفة للفظ الجلالة الله ؛لأننا لو سلمنا جدلا أن الإضافة حقيقية فينبغي أن يكون اسم الفاعل (مالك) دالاً على المضي على وفق رأي جمهور النحويين، وهذا نقيض ما يقبله العقل؛ لأن (يوم الدين) لم يقع بعد فكيف يُعبَّر عنه بالماضي وهو لم

(11) البيان في غريب إعراب القرآن : 39/1.

(12) الكشاف : 28.

(13) مشكل إعراب القرآن ، شبكة المعلومات العالمية : 15/1 .

يوجد بعد، وبهذه العبارة تساءل القرطبي (ت 671 هـ) فقال: ((فإن قال قائل كيف قال: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ ويوم الدين لم يوجد بعد ؟ فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجده؟ قيل له: اعلم أن مالكاً اسم فاعل من : مَلَكَ يَمْلِكُ، واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى المستقبل، ويكون ذلك عندهم كلاما سديدا، كقولك: هذا ضارب زيدٍ غدا، أي: سيضرب زيداً، وكذالك: هذا حاج بيت الله في العام المقبل، تأويله: سيحج في العام المقبل، أفلا ترى أن الفعل قد ينسب إليه وهو لم يفعله بعد، وإنما أريد به الاستقبال، فكذلك قوله عزَّ وجل: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ ﴾ على تأويل الاستقبال، أي: سيملك يوم الدين أو في يوم الدين إذا حضر، ووجه ثان أن يكون تأويل المالك راجعاً إلى القدرة، أي إنَّه قادر في يوم الدين، أو على يوم الدين وإحداثه؛ لأنَّ المالك في الشيء هو المتصرف في الشيء والقادر عليه، والله عز وجل مالك الأشياء كلها ومصرفها على ارادته، لا يمتنع عليه منها شيء، والوجه الأول أمس في العربية وأنفذ في طريقها))[14]

وربما كان أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) أوسع أفقاً في حل هذا المشكل؛ لأنه قال: ((ومن قرأ بجر الكاف فعلى معنى الصفة، فإن كان بلفظ (ملك) على فَعِل بكسر العين أو إسكانها أو (مليك) بمعناه فظاهر؛ لأنه وصف معرفة بمعرفة 000 وإن كان بمعنى الاستقبال وهو الظاهر؛ لأن اليوم لم يوجد فهو مشكل، فاسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال فإنه تكون إضافته غير محضة فلا يتعرف بالإضافة، وإن أضيف إلى معرفة فلا يكون إذ ذاك صفة؛ لأن المعرفة لا توصف بالنكرة، ولا تبدل نكرة من معرفة؛ لأن البدل بالصفات ضعيف، وحل هذا

(14) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، مطابع دار البيان الحديثة ـ القاهرة ، 1425 هـ / 2005 م : 132/1 .

الإشكال هو أن اسم الفاعل إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال جاز فيه وجهان، أحدهما : ما قدمناه من أنه لا يتعرف بما أضيف إليه إذ يكون فيه منويا الانفصال من الإضافة، ولأنه عمل النصب لفظاً ، الثاني : أن يتعرف به إذا كان معرفة فيلحظ فيه أن الموصوف صار معروفا بهذا الوصف ، وكان تقييده بالزمان غير معتبر، وهذا الوجه غريب النقل لا يعرفه إلا مَن له إطلاع على كتاب سيبويه وتنقيب عن لطائفه، قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى: " وزعم يونس والخليل: أن الصفات المضافة التي صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهن كلهن أن يكُنَّ معرفة وذلك معروف في كلام العرب ـ انتهى " واستثنى من ذلك باب الصفة المشبهة فقط فإنه لا يتعرف بالإضافة نحو : حسن الوجه)) [15]، وليس ذلك فحسب بل يمكن أن تكون قراءة من قرأ (مالكٌ) بالرفع ونصب (يوم) حجة على أنَّ اسم الفاعل هنا يدل على الاستقبال؛ لأنَّ التنوين في عرف النحويين يدل على الحال أو الاستقبال.

إذن فحجة من أعرب (مالك) صفة للفظ الجلالة (الله) أن الإضافة عنده لفظية لكن المضاف اكتسب التعريف من المضاف إليه كما لو كانت الإضافة معنوية في رأي سيبويه (ت180هـ) المذكور آنفاً ، أو تكون الإضافة عنده حقيقية (معنوية) ؛ لأن الماضي الذي يراد في اسم الفاعل هو الماضي المستمر لا الماضي المنقضي، أي: الزمن الماضي النحوي لا الزمن الماضي الصرفي أو الفلسفي الذي على أساسه قسم علماؤنا رحمهم الله الفعل إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل[16]، والدليل على اعتداد النحويين القدماء بالزمن الفلسفي وقلة التفاتهم إلى الزمن النحوي الذي ينسجم مع الواقع اللغوي والتعبيري للغة العربية العظيمة ما قاله سيبويه (ت 180

(15) البحر المحيط : 1/ 21-22.

(16) ينظر : اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية ـ فاضل مصطفى الساقي ، د.م ،1390 هـ /1970 م : 51- 53.

هـ) : ((فأما بناء ما مضى ؛ فذهب وسمع وحمد ، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمراً : اذهب واقتل واضرب ، ومخبراً : يقتل ويذهب ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن)) [17]، وما قاله ابن يعيش (ت 643هـ) من بعده: ((لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، والزمان من مقومات الأفعال، توجد عند وجوده، وتنعدم عند عدمه، انقسمت بانقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة،ماضياً وحاضراً ومستقبلاً،وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك،فمنها حركة مضت، و منها حركة لم تأتِ بعد ، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية۔ كانت الأفعال كذلك، ماضٍ ومستقبل وحاضر))[18].

أما فاضل مصطفى الساقي من المحدثين فقد عبر عن رأيه تعبيراً أحسبه منسجماً مع واقع اللغة العربية عندما قال: ((وإذا نظرنا إلى واقع الفعل العربي، وكل الصيغ التي تفصح عن الزمن من خلال استعمالها في التركيب الكلامي ، رأينا أن النحاة الأقدمين لم يهتموا كثيرا في تحديد المعاني الزمنية لها ، وذهبوا مذهبا بعيداً في نظرتهم إلى الفعل ودلالته الزمنية 000)) [19]، وقال في موضع آخر: ((كان عليهم أن ينظروا إلى الماضي والمضارع على أنها صيغ لا أفكار، فقد يعبر بصيغة الماضي عن المستقبل الفلسفي كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[20]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[21]، وقد يعبر بصيغة الماضي عند حدوث

(17) الكتاب : 12/1 .

(18) شرح المفصل : 4/7.

(19) اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية : 53، وينظر : النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ـ د. محمد حماسة عبد اللطيف ، د.م ، القاهرة ، 1983م : 116- 118.

(20) سورة النصر ـ آية : 1.

(21) سورة الحاقة ـ آية : 13.

الحدث في الزمن الحالي كما في قولك : (نشدتك الله)، (مات فلان رحمه الله)000فكان على النحاة أن يدركوا أن الأفعال وما يماثلها مجرد صيغ وألفاظ تدل على زمن ما هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معينٍ، وأن السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية والحسية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن معين)) [22].

هذا يعني أنَّ الماضي الذي يذكر مع اسم الفاعل لا يراد به الماضي الفلسفي بل الماضي النحوي القابل للاستمرار والتجدد،وأحسب أنَّ الزمخشري كان دقيقا جدا في تمثيله لقوله المذكور سلفاً: ((هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر)) [23]. كما عبَّرَ السهيلي (ت 581 هـ) عن سر التعبير بالفعل الماضي في اللغة العربية تعبيراً لا بد من الإشارة إليه في هذا الموضع إذ قال: ((فإن كان قصد المتكلم ألاَّ يقيد الحدث بزمانٍ دون زمان ، ولا بحال استقبال دون حال مضي ؛ فليجعله مطلقاً بلفظ الماضي الذي لا زوائد فيه ، ليكون أخف على اللسان واقرب إلى لفظ الحدث المشتق منه، ألا ترى أنهم يقولون: "لا أفعله ما لاح برق"، "ما طار طائر" بلفظ الماضي خاصة لمَّا أرادوا مدة مطلقة غير مقيدة، وأنه لا يفعل هذا الشيء في مدة لوح البرق وطيران الطائر؛ ونحو ذلك فلم يجاوزوا لفظ الماضي؛ لأنَّه لا يريد استقبالاً ولا حالاً على الخصوص)) [24] .

وقد فرق الدكتور فاضل صالح السامرائي بين الفعل الماضي واسم الفاعل الدال على الماضي تفريقاً لطيفا فقال: ((وقد تقول ما الفرق بين الفعل الماضي واسم

(22) اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية : 54-55 .

(23) الكشاف : 28 .

(24) نتائج الفكر ـ السهيلي ، تحقيق : د. محمد إبراهيم ألبنا، منشورات جامعة قار يونس، د. ت : 434 .

الفاعل الدال على الماضي؟ والجواب: أن اسم الفاعل يدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي بخلاف الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الفعل في الزمن الماضي لا على ثبوته ودوامه)) [25].

لذلك كان الكوفيون محقين عندما اصطلحوا على صيغة اسم الفاعل بـ: (الفعل الدائم) [26]، ويبدو لي أن هذا المصطلح أكثر تعبيراً عن واقع ما اصطلح عليه البصريون بـ: (اسم الفاعل) من حيث دلالته الزمنية المعبرة عن الديمومة ، كما كان تجويز الكسائي (ت 189 هـ) وهشام (ت 209هـ) وابن مضاء القرطبي (ت592 هـ) [27] في إعمال اسم الفاعل الدال على الماضي كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾[28]، وقول العرب: (هذا مارٌ بزيدٍ أمس فسويرٌ فرسخاً) في محله ؛لأنهم ما أرادوا به الماضي الثابت بل الماضي المتجدد، والقرينة السياقية في الآية الكريمة ترشح اسم الفاعل (باسط) للاستمرار وهي قوله تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ، فلو كان فعلا ماضيا لمَّا عبَّر عنه بصيغة المضارع الدال على الحال،قال ابن عصفور(ت 669 هـ): ((ألا ترى أنَّ الواو التي في : ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ واو الحال تقديره: وكلبهم يبسط))[29] فضلا عن ذلك فإن الزمخشري عندما قال في اسم

---

(25) معاني الأبنية في العربية ـ د . فاضل السامرائي ، 1401 هـ / 1981م : 51 .

(26) ينظر : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ـ عوض حمد القوزي ، شركة الطباعة العربية ـ الرياض، 1401هـ/1981م : 185.

(27) ينظر معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي ـ أعاد بناءه وقدم له ، د . عيسى شحاته عيسى ، دار قباء للطباعة والنشر ـ القاهرة ، 1998م : 185 ، و شرح الكافية : 2/ 201، وشرح المفصل : 6 / 77، وشرح جمل الزجاجي ـ ابن عصفور ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، دار الكتب للطباعة ـ الموصل ، 1400 هـ / 1980م : 550/1، والبحر المحيط : 6 / 109 .

(28) سورة الكهف ـ آية : 18 .

(29) شرح جمل الزجاجي : 1/ 556 .

الفاعل (باسط) : ((حكاية حال ماضية))[30] لم يبعد كثيراً عن دلالته على الاستمرار والتجدد؛ لأن معنى حكاية الحال الماضية ((أن تقدر نفسك كأنك موجودٌ في ذلك الزمان، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن، ولا يريدون به أن اللفظ الذي في ذلك الزمان محكيٌّ الآن على ما نلفظ به 000بل المقصود بحكاية الحال حكاية المعاني الكائنة حينئذٍ لا الألفاظ))[31]، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وحسن بيانه أنه نقل إلينا وقائع وأحداث الغابرين بأسلوب رائع وجميل، وكأنها أحداث مستمرة جعلنا أسلوب عرضها نعيش وقائعها وكأننا معها لنتخذها عبرة وننتفع منها ويتخذها من يأتي بعدنا عبرة له وينتفع بها أيضاً.

وقد توصل الدكتور بكري عبد الكريم في دراسته الموسومة بـ : (الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه) إلى أنَّ : ((دراسة الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية تضفي عليها ظلالاً دلالية أخرى، فمن ذلك أن معرفة زمن الفعل تضفي إلى معرفة مكان الحدث وملابساته، ومن ذلك أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي تعطي إيحاءً خاصاً في ذهن السامع قد لا تؤديه أساليب التعبير الأخرى كتقريب أحداث المستقبل،أو استحضارها في الحاضر من الماضي))[32].

---

(30) الكشاف : 614.

(31) شرح الكافية : 2 / 201، وينظر : الموفي في النحو الكوفي ـ صدر الدين الكنغراوي ، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي ـ دمشق ، د. ت : 80 ،و الحجج النحوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ د. محمد فاضل صالح السامرائي ، دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان ، 1424 هـ/2004م : 138.

(32) الزمن في القرآن الكريم "دراسة دلالية للافعال الواردة فيه" د. بكري عبدالكريم ، دار الفجر ـ القاهرة ، ط2 ، 1999، 354

فبعد ذلك هل للزمن علاقة بعمل اسم الفاعل كما زعم النحويون عندما ربطوا عمله أحياناً بالزمن، ولا سيما أنه إذا كان مفرداً خارجا عن السياق، والقرائن هي الكفيلة بتحديد دلالته الزمنية ؟ وكان الدكتور المخزومي (ت 1993م) قد قرر أن مثال (فاعل) لا دلالة له على زمن معين إذا لم يوصل بصلة من مضاف إليه أو مفعول[33].

ولما كان اسم الفاعل إذا كان معزولا عن بيئته لا يمتلك زمناً معينا لكنه يكتسب الدلالة الزمنية من بيئته السياقية أو محيطه الخارجي أو كليهما معا؛ لذا كان من الإجحاف ربط سبب إعمال اسم الفاعل أو سبب عدم إعماله بالزمن.

ونخلص من ذلك إلى أن عدم إعمال اسم الفاعل (مالك) المقروء بالإضافة وخفض (يوم) أو إعماله في قراءة من قرأ (مالكٌ) بالرفع والتنوين، ونصب (يوم) غير راجع إلى زمن اسم الفاعل بل إلى شيءٍ آخر نظنه عاملاً صوتياً؛ لأنَّ الأصل في اسم الفاعل التنوين والإعمال، فإذا حذف التنوين للتخفيف أو لتعارضه مع الإضافة فلم يبقَ بين اسم الفاعل ومعموله حاجزٌ لذلك يتحدان ليكونا وكأنهما اسمٌ واحدٌ فيجر الاسم الثاني بالإضافة كنتيجة منطقية لذلك الاتحاد، وسنقف على هذا الموضوع لاحقا في قراءة ثانية وقفةً أطول ، لأنَّنا هنا حاولنا أن نبين أنَّ اسم الفاعل سواء أكان عاملاً أم غير عامل لا صلة له بالزمن.

---

(33) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية- صيدا بيروت، 1964م:125-126، و139 ، و= الزمن في النحو العربي - د. كمال إبراهيم بدري، دار أمية للنشر والتوزيع - الرياض ، 1404 هـ / 1984م : 286 .

ومن القراءات القرآنية المختارة للدرس والتحليل قراءة (ذائقة الموت) من قوله عز وجل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[34]، إذ قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وابن أبي إسحاق والمطوعي واليزيدي وأبو حيوة (ذائقةٌ) بالرفع والتنوين، و نصب (الموت)، وقرأها الأعمش والمطوعي أيضاً (ذائقةُ) بالرفع من غير تنوين، ونصب (الموت)، وقرأها باقي القراء (ذائقةُ) بالرفع من غير تنوين، وخفض (الموت)[35].

قال الفراء (ت 207هـ): ((ولو نونت في (ذائقة) ونصبت (اليوم) كان صوابا وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلاّ بالإضافة000))[36].

فالذي يفهم من كلام الفراء وغيره ممن وجه هذه القراءة أنَّ القرينة المرشحة لزمن اسم الفاعل هي القرينة الشكلية التنوين إذا أريد به الحال أو الاستقبال، والإضافة إذا أريد به الماضي، وبهاتين القرينتين الشكليتين حكم بالخطأ على القاضي أبي يوسف في المحاورة العلمية التي دار رحاها بينه وبين الكسائي بحضرة الخليفة هارون الرشيد، ولأهمية هذه المحاورة في هذا المقام من البحث نسردها نقلاً عن السيوطي (ت911هـ) عمن سمع الكسائي يقول: ((اجتمعت وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول: ما النحو؟ فقلت وأردت أن أعلمه فضل النحو: ما تقول في رجل قال: أنا قاتلٌ غلامَك، وقال له آخر: أنا قاتلُ غلامِك أيهما كنت تأخذ به؟ قال آخذهما جميعاً، فقال له هارون

(34) سورة آل عمران ـ آية : 185، وسورة الأنبياء ـ آية : 35، وسورة العنكبوت ـ آية : 57.

(35) ينظر : معجم القراءات القرآنية : 92/2.

(36) معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء ت 207، عالم الكتاب ـ بيروت ، ط2، 1980م، وينظر: مفاتيح الغيب ـ الرازي ، المطبعة البهية ـ مصر، د.ت : 129/9، والجامع لأحكام القرآن : 4/ 226-227.

أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحيا، وقال كيف ذلك؟ فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك بالإضافة؛ لأنه فعل ماض، فأمَّا الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب، فإنه لا يؤخذ؛ لأنه مستقبل لم يكن بعد،كما قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً﴾[37]))[38].

وكان الدكتور فاضل الساقي قد توصل من هذه المحاورة ومن غيرها من النصوص إلى ما كان قد قاله علماؤنا الأفذاذ من أنَّ التنوين والإضافة علامتان على زمن اسم الفاعل، فقال: ((وواضح من هذه الرواية أن اسم الفاعل إذا لحق به شيء دلَّ على زمن تحدده القرائن ويعينه السياق فإذا كان منوناً دلَّ على المستقبل، وإذا كان مضافاً دلَّ على الماضي، فهو في كلتا الحالتين لا يخلو من تصور معنى الزمن فيه)) [39] ثم قال: ((إنَّ تنوين اسم الفاعل يمكن اعتباره ظاهرة شكلية لها دلالة خاصة تنعكس في ترشيح صيغته للزمن المستقبل إذا استعمل في الجملة وقد لحقها شيء من الضمائم 000وإنَّ إضافة اسم الفاعل هي الأخرى تصلح أن تكون ظاهرة شكلية ترشح صيغته للدلالة على الزمن الماضي، ونستطيع أن نعدها قرينة لفظية مانعة من إرادة الحال أو الاستقبال000))[40].

أما الدكتور كمال إبراهيم بدري فلم يكن مقتنعا بما ذكره الكسائي بدلالة قوله: ((وهذه الرواية ينبغي أن تؤخذ على الكسائي؛ لأنه أجاز أن يوصل بالمتعلقات اسم الفاعل، وأتى لذلك بمثال كان فيه اسم الفاعل منوناً وهو قوله تعالى:

(37) سورة الكهف ـ آية : ٢٣.

(38) معاني القرآن ـ الكسائي : 185.

(39) اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية : 72.

(40) م . ن: 73-74.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ فكيف يحمل اسم الفاعل المنون هنا على المضي، ويخطيء القاضي حين اعتبر" أنا قاتلٌ غلامَك" على المضي؟)) [41].

فضلا عن ذلك لو سلمنا جدلاً أنَّ قراءة (ذائقةٌ) بالتنوين ونصب (الموت) دالة على الاستقبال بدلالة التنوين؛ ((لأنها لم تذق الموت بعد)) [42]، أما قراءة (ذائقةُ) بالإضافة وخفض (الموت) فدالة على الماضي بقرينة الإضافة أمر غير مُفَسَّر؛ لأن هذه الدلالة لا تنسجم مع مفهوم الآية؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا هنا أنَّ كلَّ نفسٍ من إنسانٍ أو حيوانٍ ستذوق الموت، لا كل نفسٍ قد ذاقت الموت، وهذا ما يدفعنا إلى تأكيد ما ذكرناه سلفا في قراءة (مالك يوم) لمن قرأها بالإضافة وخفض (يوم) من أن الماضي في اسم الفاعل لا يراد به ما مضى وانتهى في معيار الزمن الفلسفي، بل هو أقرب ما يكون في دلالته على الماضي المستمر المتجدد في معيار الزمن النحوي، وهو ما يتلاءم مع توجيه هذه القراءة القرآنية وغيرها من القراءات المثبتة في الجدول الذي جمعنا فيه القراءات القرآنية التي وردت بصيغة (فاعل) والمقروءة بالإعمال والإهمال، وكان أبو حيان الأندلسي قد قال صراحة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [43]: ((فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم (جامعٌ الناسَ) بالتنوين ونصب (الناس) [44]، وقيل معنى الجمع هنا أنه يجمعهم في القبور وكأن اللام بمعنى إلى للغاية، أي: جامعهم في القبور إلى يوم القيامة، ويكون اسم الفاعل هنا لم يلحظ فيه

---

(41) الزمن في النحو العربي : 287.

(42) الجامع لأحكام القرآن : 226/4.

(43) سورة آل عمران ـ آية : 9.

(44) ينظر : معجم القراءات القرآنية : 8/2 .

الزمن إذ من الناس من مات ومنهم من لم يمت، فنسب الجمع إلى الله من غير اعتبار الزمن000) [45] .

وعلاوة على ذلك تستوقفني هنا قراءة من قرأ (ذائقةُ الموتَ) بالرفع من غير تنوين ونصب (الموت)، فقد وجهها علماء العربية على أنَّ اسم الفاعل هنا عمِل عمَل فعله وهو دال على الاستقبال بدلالة التنوين المحذوف للتخفيف [46]، لكن هذا الكلام يتطلب منا التريث في الحكم عليه؛ لأنه ليس من المعقول ولا المقبول الحكم على زمن بقرينة شكلية محذوفة، بعبارة أخرى لمَّا كانت القرينتان الشكليتان التنوين والإضافة الدالة الأولى على الحال أو الاستقبال والثانية على الماضي في هذه القراءة وغيرها من القراءات[47] محذوفتين فهما ليستا كفيليتن بتحديد زمن معين أو محدد له بل القرينة السياقية أو الحالية أو كلاهما معاً أولى بتحديد زمنه، ولا ازعم أني مؤمنٌ تماماً بهاتين القرينتين الشكليتين في تحديد الزمن لاسم الفاعل لما كنت قد ذكرته آنفاً، ولأسباب أخرى أوجزها في هذا المقام، فقد أجمع علماء العربية على أنَّ الأصل في اسم الفاعل (التنوين)، وما جاء غير منون فإما للتخلص من التقاء الساكنين أو للتخفيف، وقد عبَّر ابن يعيش عن هذه الأصالة بصراحة ووضوح في قوله: ((والتنوين هو الاصل، والإضافة دخلت تخفيفا، ولو لم يكن التنوين هو الأصل لما جاز دخول التنوين ؛ لأنه ثقيل)) [48]، ولا بد لي من التريث عند مسألة التنوين في اللغة العربية الذي غدا ظاهرة بارزة من ظواهرها الخاصة بها، فقد حدَّ

---

(45) البحر المحيط : 387/2.

(46) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 4/ 227، و البحر المحيط : 3/ 134.

(47) ينظر الثبت في الصفحة الثانية من هذا البحث .

(48) شرح المفصل : 68/6 .

القدامى التنوين بأنه: ((الحاق الاسم نوناً ساكنة)) [49] وحده المحدثون بأنه: ((حركة قصيرة بعدها نون)) [50]، فالتنوين إذاً هو : ((مجموع الحركة والنون معاً، وأن هذه الحركة والنون خاضعة لنظام المقطع في الكلام الموصول، وإن الذي يحدد هذه الحركة ـ في زعمهم ـ هو أحد عاملين: طبيعة الصوت، أو انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى، ولعل هذا التعريف امتداد لقولهم بأنَّ الحركة الإعرابية لا تحدد المعاني في الأذهان، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض)) [51]، فالتنوين بعد ذلك نون ساكنة تلحق آخر الأسماء، وإنما أطلقوا عليه هذا المصطلح؛ ليميزوه من النون المتحركة التي تلحق بالمثنى وجمع المذكر السالم [52]، ولمَّا كان التنوين نونا ساكنة، فهو صوت له مخرج وله وصف عضوي، لذا وصف بأنه: ((صوت مجهور، أي: يهتز معه الوتران الصوتيان، وهو متوسط بين الشدة والرخاوة)) [53]، ولمَّا كان التنوين قد وصف بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة فمن أين جاءه (الثقل) الذي وصفه به علماؤنا عندما قالوا: إن التنوين هو الأصل لكنه يحذف تخفيفا لثقله؟ فالذي يظهر لنا أن ثقله متأتٍ من غنته، وهذا ما ذكره مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ) في قوله: ((وحرفا الغنة هما: النون والميم الساكنتان سميتا بذلك؛ لأن فيها غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما، فهي زائدة فيهما، كالإطباق الزائد في حروف الإطباق، وكالصفير الزائد في حروف الصفير، فالغنة من علامات قوة الحرف

---

(49) نتائج الفكر: 86 .

(50) من أسرار اللغة ـ د. إبراهيم أنيس ، مطبعة محمد عبد الكريم حسان ـ مصر ، ط 8، 2003م : 220 .

(51) ظاهرة التنوين في اللغة العربية ـ د.عوض المرسي جهاوي،دار الرفاعي ـ الرياض، 1403هـ /1982م: 10-11.

(52) ينظر : م.ن : 28 .

(53) ينظر : م. ن : 53 .

ومثلها التنوين))[54]، ومن المعلوم أن الصوت الذي يحمل صفات قويةً يكون قوياً ، ويكون ضعيفاً إذا حمل صفات ضعيفة ، وهذا ما ذكره مكي في قوله: ((فعلى قدر ما في الحرف من الصفات القوية كذلك قوته ، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه)) [55]، هذا يعني أن علاقة التنوين باسم الفاعل علاقة أصالة، وما ورد على غير ذلك فللتخفيف أو للتخلص من التقاء ساكنين كما في هذه القراءة؛ لذلك كان التفسير الراجح لهذه الظاهرة أنها لا تعدو أن تكون مسألة صوتية لا علاقة لها بالزمن، قال السهيلي في حديثه عن فائدة التنوين: ((التنوين فائدته التفرقة بين المنفصل والمتصل، فلا يدخل في الاسم إلاَّ علامة لانفصاله مما بعده؛لذلك يكثر في النكرات لفرط احتياجها إلى التخصيص بالإضافة، فإذا لم تضف احتاجت إلى التنوين تنبيهاً على أنَّها غير مضافة)) [56]؛ لذلك كانت قراءة من قرأ (ذائقةٌ) بالتنوين ونصب (الموت) محمولة على الأصالة ، وقراءة من قرأ (ذائقةُ) بالضم من غير تنوين ونصب (الموت) أو خفضه محمولة على حذف التنوين للتخلص من التقاء الساكنين، أما قراءة (مالكِ يومِ) التي سبق ذكرها فمحمولة على حذف التنوين تخفيفاً لتعارضه مع الإضافة، وقد وجه غير واحد من النحويين والمفسرين القراءات القرآنية التي وردت بصيغة (اسم الفاعل) كهذا التوجيه[57].

(54) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ،مكي بن ابي طالب القيسي، تحقيق ـ أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ـ القاهرة ، د. ت : 106.

(55) م. ن: 93 ، وينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ مكي بن ابي طالب ، تحقيق : د. محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربي ـ دمشق ، 1394 هـ / 1974م : 1/ 137 .

(56) نتائج الفكر : 87 .

(57) ينظر: مفاتيح الغيب : 129/9،وإملاء ما منَّ به الرحمن : 161/1 ، والجامع لأحكام القرآن : 227/4، والبحر المحيط : 485/4، الألف واللام في كلام العرب ـ د. علي المتولي الأشرم ، مكتبة جزيرة الورد ت مصر ، د. ت : 82 ، 87

فمن ذلك أيضاً قراءة (كاشفات ضره) وقراءة (ممسكات رحمته) في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾[58] فقد قرأ أبو عمرو وعاصم [59] والكسائي والحسن وابن محيصن وشيبة ويعقوب وشعبة والأعرج وعمرو بن عبيد وعيسى واليزيدي ويحيى بن وثاب هذين الحرفين(كاشفاتٌ ضرَّه أو ممسكاتٌ رحمتَهُ) بالتنوين ونصب ما بعدهما، وقرأ الباقون هذين الحرفين (كاشفاتُ ضرِّه) و (ممسكاتُ رحمتِهُ) بالضم من غير تنوين وخفض ما بعدهما[60].

فهذا النحاس عندما وقف على هذه القراءة قال: ((وحذف التنوين على التخفيف، فإذا حذف التنوين لم يبقَ بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالإضافة، وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن)) [61].

وذكر العلماء أنَّ التنوين يحذف وجوباً ويحذف جوازاً، فمن المواضع التي ذكروها والتي يحذف فيها التنوين حذفاً لازماً: إذا كان اسم الفاعل صلة لـ : (ال)، أو إذا كان مضافاً[62]، هذا يعني أن هذه الثلاثة لا تلتقي مرة واحدة في اسم واحدٍ، قال ابن الدهان (ت 612هـ): ((ثلاثة أشياء تتعاقب على المفرد، ولا يوجد فيه

(58) سورة الزمر ـ آية : 38 .

(59) برواية أبي بكر بن عياش وليست برواية حفص .

(60) ينظر معجم القراءات القرآنية : 6/ 18 -20 .

(61) إعراب القرآن : 2/ 821 .

(62) ينظر : ظاهرة التنوين : 53 .

منها اثنان،وهي: التنوين والألف واللام والإضافة))[63]، وكذلك قول ابن مالك(ت672هـ) في أرجوزته:

نونا تلي الإعراب أو تنوينا مما تضف احذف كطور سينا[64]

و يحذف التنوين جوازاً إذا التقى بساكنٍ ؛ ومن النحويين من يحركه بالكسر، وذهب الأستاذ عباس حسن (ت 1979م) إلى أنَّ : ((حذف التنوين إذا وليه ساكن أسهل اللغات كلها)) [65] .

وبعد ذلك فهل أنَّ التنوين يدل على الحال أو الاستقبال، والإضافة تدل على الماضي، إذ لو كان اسم الفاعل كذلك فما زمن اسم الفاعل المثنى أو المجموع جمع مذكر سالم إذا كان خالياً من التنوين والإضافة، ومعموله منصوباً كقراءة (لذائقو العذابَ) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ [66] وهي قراءة: عاصم وأبان وثعلبة وأبي السمال[67] .

وصفت هذه القراءة بأوصاف عدة منها وصف أبي علي الفارس (ت377هـ): ((فإن حذفت النون مما لا ألف ولام فيه لم يكن إلاَّ الجر وكان النصب لحنا، وقال أبو عثمان [المازني (ت249 هـ)] قال أبو زيد[الأنصاري (215هـ) صاحب النوادر] كان أبو السمال يقرأ حرفا فيه بعد أن كان فصيحا وهو قوله

(63) ينظر الأشباه والنظائر في النحو ـ السيوطي ، راجعه : د. فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط2 ، 1414هـ /1993م : 60/2 ، و ظاهرة التنوين : 53.

(64) الألفية ـ باب الإضافة ، ينظر : مجموع مهمات المتون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د.ت : 226

(65) النحو الوافي ، د. عباس حسن، دار المعارف ـ مصر ، ط2 ، 1964م : 1 / 28 .

(66) سورة الصافات ـ آية : 38 .

(67) ينظر : معجم القراءات القرآنية : 5/ 234 .

تعالى (إنكم لذائقو العذابَ) -)) [68]، ووصفها ابن الأنباري بقوله: ((وقرا أبو السمال الأعرابي: (إنكم لذائقو العذابَ) بالنصب وهو رديء في القياس))[69]، وقال العكبري: ((وقرىء شاذا بالنصب وهو سهو من قارئه؛ لأن اسم الفاعل تحذف منه النون، وينصب إذا كان في الألف واللام)) [70]، ولم يكن الزمن هو الأساس الذي دفعهم إلى وصف هذه القراءة بهذه الأوصاف بل إنه لا يوجد تعارض بين الإضافة والنون فيها، أي فقدان المسوغ الصوتي لحذف النون، قال سيبويه: ((وإذا ثنيت أو جمعت فاثبت النون، كقولك : " هذان الضاربان زيداً " و " هم الضاربون الرجلَ " ولا يكون فيه غير هذا ؛ لأنَّ النون ثابتة ، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [71] 000فإذا كففت النون جررت، وصار الاسم داخلاً في الجار، وبدلاً من النون؛ لأنَّ النون لا تعاقب الألف واللام 000فالنون مكفوفة، والمعنى معنى إثبات النون 000)) [72]، ولربما كانت حجة قارئها أن (النون) ثقيلة بغنتها فأراد أن يتخفف من ثقل النون فحذفها كما حذف غيره التنوين في القراءات القرآنية الأخرى.

ونخلص من هذه الدراسة إلى أن التنوين في اسم الفاعل هو تنوين التنكير؛ لأن التنكير يفيد الإطلاق وهو ينسجم مع الدلالة الزمنية التي لا تعبر عن ثبوت الوصف فيه بل تعبر عن ديمومة زمنه؛ لأن الزمن الحقيقي في اسم الفاعل هو الزمن النحوي لا الزمن الفلسفي الذي أوقع النحويين في إرباك التقسيم بعد تعدد

---

(68) الإيضاح العضدي : 149 - 150 .

(69) البيان في غريب إعراب القرآن : 304/2 .

(70) إملاء ما منَّ به الرحمن : 206/2 ، والألف واللام في كلام العرب : 108- 111.

(71) سورة النساء - آية : 162 .

(72) الكتاب : 94/1 -95 ، واسم الفاعل في القرآن الكريم : 43- 45.

الدلالات الزمنية التي يحتويها الفعل العربي عند إدخاله في تراكيب الكلام؛ لذلك حاول الكوفيون التخلص قليلا من قيد هذا التقسيم حينما عدُّوا اسم الفاعل أو ما اصطلحوا عليه بـ : (الفعل الدائم) قسيماً ثالثاً للفعل في اللغة العربية، وأظن أنَّ هذا المصطلح متناغمٌ مع حالة اسم الفاعل الزمنية ، أما زمن اسم الفاعل فهو مكتسب من قرائنه السياقية أو من القرائن الحالية أو من كليهما معاً، وأن التنوين والإضافة غير صالحين لتحديد زمن معينٍ لاسم الفاعل، ومن ثم كان ربط عمل اسم الفاعل بهاتين الظاهرتين اللغويتين الصوتيتين ربطاً لا مسوّغ له؛ لأن التنوين الذي له الأصالة في اسم الفاعل ليس سوى ظاهرة صوتية جاءت لتعبر عن التنكير الزمني فيه، لكن ثقل النطق بالتنوين المتأتي من غنته دفع عددا من القراء المشهورين وغير المشهورين إلى محاولة اختيار القراءة التي فيها تخلص من التنوين إذا لم يكن معمول اسم الفاعل معرفاً بـ : (أل) ويُجَرُّ الاسمُ الواقع بعده؛ لأن الاسمين سيصيران بعد التخفيف كالاسم الواحد ، وهذا ما يعرف بالإضافة؛ و أطلق النحويون على هذه الإضافة مصطلح (الإضافة غير الحقيقية أو اللفظية)؛ لأنهم أدركوا أنَّ هذه الإضافة ناتجة من حذف التنوين للتخفيف أولاً، و ليميزوها عن (الإضافة الحقيقية أو المعنوية) التي تكسب المضاف إليه تعريفاً إذا أضيف إلى معرفة أو تخصيصاً إذا أضيف إلى نكرة ، أو قد يكون التخلص من التنوين لا للتخفيف فحسب بل للاتقاء ساكنين إذا كان معمول اسم الفاعل معرَّفاً بـ (أل)، ومن ثم كان ربط عمل اسم الفاعل بالتنوين المعبر في حسابهم عن زمن معين أو بالإضافة المعبرة في حسابه عن زمن آخر أمراً مرفوضاً وفيه من التعسف ما فيه، لذا ندعو إلى إطلاق العمل في اسم الفاعل من غير تقييده بقيود الزمن أو شيء آخر كتلك القيود التي وضعها البصريون ،وليست هذه الدعوة حديثة عهد في زماننا بل قديمة قال بها الكسائي وغيره من الكوفيين ، فضلاً عن ذلك فالنحويون لم يضعوا

قيد الزمن في الحسبان عندما يكون اسم الفاعل صلة لـ : (أل) أي إنَّ اسم الفاعل لديهم يعمل ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، فلمَ لم يقولوا ذلك وهو خلوٌ منها في حال الماضي ، وقد أثبتنا في هذا البحث أن التعارض بين اسم الفاعل إذا كان صلة لـ : (أل) أو لم يكن تعارضا صوتياً، أي: شكلياً وليس جوهريا فيه، والدليل الآخر على تلك الشكلية التي حكموا بها عمل اسم الفاعل ما قالوه : إن اثبات النون في اسم الفاعل إذا كان مثنى أو جمعاً فلا يجوز في معموله إلاَّ النصب؛ لأنه لا يمكن الجمع بين النون والإضافة، فليس أدل من ذلك على أن ثبات التنوين وحذفه أو اتصاله بـ (أل) أو عدم اتصاله بها أو وجود الإضافة أو عدمها لا مسوغ له سوى أنه ظاهرة صوتية في الكلام العربي، ولا علاقة له بعمل اسم الفاعل لا من قريب ولا من بعيد، ومن هذا المنطلق نرى أنَّ اسم الفاعل يعمل مطلقاً من غير قيد أو شرط لتيسير النحو على طالبيه ومريديه الذين يشكون من كثرة فروعه وتعقيداته وما ذكرناه لا يعدو وجهة نظر إن أصبنا فمن الله وإن أخفقنا فمن عند أنفسنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

Abstract

Active Participle as Operative or Inoperative in the Quranic Recitations

Dr. Nawfal Ali Majeed(*)

The present paper deals with the active participle in the Quranic recitations. The study begins with an introduction defining the active participle. It falls into two main parts, namely, the active participle between verb acting as verb or as a noun and the active participle in Quran from syntactic perspective.

Moreover, we shall introduce a table containing the recitations that are in the form of the active participle. It is worth mention that this table came after counting that we conducted on the lexicography of the Quranic recitations.

We have reviewed and analyzed four of the recitations mentioned in our table. The study has come up with that the active participle is not related to tense if it is singular and decontextualized word, however, it may acquire the tense element from the contextual clues or from actual ones or both together. It is to be noted that nunation and annexation are not suitable clue to determining the tense of the A.P. To add, we say that the tense is not the philosophical or the morphological tense but rather it is the syntactic one.

Essentially the A.P. should be nunated, however, this nunation sometimes may be deleted for its clashing with annexation. It is merely a phonological matter. Finally this paper recommends for effective role of the A.P. in all its contexts without any condition or restriction.

(*) Dept. of Arabic - College of Arts / University of Mosul.